حوار مع صحيفة اخبار اليوم المغربية

• في مستهل هذا الحوار، نتوقف عند التطورات الأخيرة في فلسطين المحتلة، خصوصا محاولة ضم أجزاء من الضفة الغربية. نرجو أن تطلع القارئ المغربي على طبيعة هذه المحاولة. هل هي نتاج "صفقة القرن"؟ أم مناورة سياسية لكيان الاحتلال للتغطية على جرائمه التي يمارسها بشكل يومي ضد الفلسطينيين؟

* صفقة القرن والتأييد الأمريكي لإسرائيل غير المسبوق في عهد ترامب شجع نتنياهو على التفكير بضم أجزاء من الضفة تمهيدا لضم كل الضفة لأن الصفقة تعاملت مع الضفة الغربية باعتبارها أراضي إسرائيلية ولأن المواقف الفلسطينية والعربية لم تكن حازمة كفاية تجاه الصفقة وتجاه القرار الأمريكي باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل، والتوجه نحو الضم ليس تكتيكا بل جزء أصيل من السياسة والعقيدة الصهيونية وخصوصا في ظل حكومات إسرائيلية يمينية والتوجه العام في المجتمع الصهيوني نحو التطرف، ذلك أن إسرائيل قامت على أسطورة أرض الميعاد التي تشمل كل فلسطين وأن الضفة الغربية هي يهودا والسامرة اليهودية والتي يحتلها العرب والمسلمون من وجهة نظرهم !!، وفي عدوان حزيران 1967 واحتلال إسرائيل الضفة وغزة وأراضي عربية أخرى اعتبرت إسرائيل احتلال الضفة وكأنه إعادة تحريرها ، ولم تكن إسرائيل بعد ذلك جادة في أي عملية تسوية ومن هنا رفضت وما زالت قيام دولة فلسطينية تشمل الضفة الغربية وعاصمتها القدس.

إن ضم الأراضي في الضفة ليس بداية المشكلة بل هو تتويج لسياسة بدأت مع الاحتلال ثم الاستيطان والضم تتويج لهما في سياق أوضاع محلية وإقليمية ودولية مواتية لإسرائيل. الرفض الفلسطيني الرسمي والشعبي وكذلك المواقف العربية والدولية وحتى داخل إسرائيل الرافضة لسياسة الضم دفعت نتنياهو لتأجيل عملية الضم وما نخشاه أن تقوم إسرائيل بالضم بصمت دون إعلان أو بضم تدريجي لعدم إثارة الرأي العام الدولي ولعدم إحراج الأنظمة العربية الصديقة لإسرائيل.

• في نظرك، لماذا لم تعد ردود فعل الفلسطينيين بالقوة نفسها التي تميزوا بها من قبل في محاولات كهذه، بل في أقل منها؟

* كلام صحيح، فقبل ذلك كانت أية ممارسة عدوانية أو استفزازية إسرائيلية تواجَه بثورة او انتفاضة أو ردود عسكرية كما جرى في الانتفاضتين السابقتين 1978 و 2000 ، أما الآن فإسرائيل ضمت القدس واعتبرتها عاصمته لها وتواصل الاستيطان والتهويد في الضفة والعدوان والحصار على غزة دون ردود فعل قوية ، ونعتقد أن السبب يعود للانقسام الفلسطيني وتراجع التأييد العربي لانشغال العرب بمشاكلهم الداخلية أيضا بسبب الدعم الكبير الذي تجده إسرائيل من طرف الولايات المتحدة الامريكية، وقدرة هذه الأخيرة في تصنيف المقاومة الفلسطينية كفعل إرهابي. هذا بالإضافة إلى قناعة لدى القيادة الفلسطينية بعدم جدوى العمل العسكري نظرا لاختلال موازين القوى لصالح إسرائيل وخشية من توظيف العمل المسلح من طرف جماعات إسلامية كحركة حماس لتخريب السلطة الفلسطينية.

• في نظرك، هل باتت القضية الفلسطينية في مهب الريح مع "صفقة القرن" الأمريكية؟ إلى أي حد يمكن القول إن هذه الصفقة هي نتاح الضغوط الأمريكية على الأنظمة العربية؟ ألا يمثل ضعف القيادات الفلسطينية، بمختلف تياراتها، دورا في فرض هذه الصفقة؟

* لا شك أن كل ما يجري ليس في صالح الشعب الفلسطيني، وضعف ردود الفعل العربية على صفقة القرن ومجمل الممارسات الإسرائيلية يرجع لقوة الهيمنة الامريكية على غالبية الأنظمة العربية، فهذه الأنظمة أصبحت فاقدة القدرة والرغبة أيضا في مواجهة واشنطن لأسباب سياسية وأمنية واقتصادية، كما أن الرابطة القومية تراجعت بشكل كبير وما يُسمى الربيع العربي أضعف من حصانة الأمة العربية وخلق لها مشاكل داخلية أصبح لها الأولوية حتى على القضية الفلسطينية، أيضا فحالة الانقسام الفلسطيني أعطت للأنظمة العربية المبرر للتهرب من التزاماتها القومية، فكيف للعرب أن يتوحدوا لدعم الفلسطينيين بينما الفلسطينيون أنفسهم منقسمين على الأهداف وسبل تحقيقها! .

ولكن هذا لا يعني نهاية القضية الفلسطينية لأن الخلل ليس في عدالة القضية ولا في الشعب الفلسطيني بل في طبقة سياسية فاشلة وعاجزة ولأن التحولات والمتغيرات الإقليمية والدولية جاءت متعاكسة مع تطلعات الشعب الفلسطيني، ولكن كل ذلك مرحلي لأن موازين القوى غير ثابتة وستستعيد القضية الفلسطينية حضورها وعافيتها وخصوصا أنه لم يتم التخلي عن الحقوق الشرعية من أي طرف فلسطيني.

• بالنظر إلى الواقع العربي المتشرذم والانقسام الفلسطيني، هل لا زالت هناك للمقاومة وإحياء الانتفاضة في صورتها الأولى خصوصا؟ أم أن اتفاقات أوسلو نجحت فعلا في إقبار حركة الاحتجاج والنضال والمقاومة نهائيا؟

* اتفاقية أوسلو كانت مراهنة من القيادة الفلسطينية على إمكانية أن يؤسس وجود سلطة فلسطينية منبثقة عن الاتفاق إلى قيام دولة فلسطينية كما جاءت اتفاقية أوسلو في وقت كانت فيه الثورة الفلسطينية ضعيفة ومحاصرة عربيا ودوليا بعد حرب الخليج الثانية واتهامها بأنها تقف إلى جانب صدام حسين، كما كانت أوسلو مراهنة من الإسرائيليين والأمريكيين بأن تؤدي للإجهاض على حركة التحرر الفلسطينية وتحويلها لسلطة تحت الاحتلال وخاضعة لشروطه، وللأسف نجحت المراهنة الإسرائيلية الأمريكية بينما وصلت مراهنة الفلسطينيين على قيام دولة مستقلة لطريق مسدود. ولكن هذا لا يعني نهاية القضية الفلسطينية كما سبق وأن ذكرنا ويمكن للفلسطينيين القيام بمراجعة استراتيجية والتخلي عن اتفاقية أوسلو وملحقاتها والعودة لحالة التحرر الوطني، وقد هددت القيادة الفلسطينية وكل القوى السياسية بالتخلي عن اتفاقية أو سلو وكل الاتفاقات الموقعة مع إسرائيل في حالة قيامها بضم أراضي الضفة,

• هناك ملاحظة مفادها أن فلسطين كانت تخرج مئات الآلاف من العرب إلى الشوارع تضامنا أو احتجاجا. ما مدى حجية إخفاق ما سمي بالربيع العربي في تفسير خفوت الحماس العربي تجاه القضية الفلسطينية؟

* القضية الفلسطينية اليوم ليست كما كانت كقضية العرب الأولى، واليوم وبسبب فوضى وخراب ما يسمى الربيع العربي أصبحت المسألة الوطنية الداخلية وحماية والحفاظ على الأمن الداخلي واستقرار الدولة هي القضية الأولى لكل دولة عربية، ولكن هذا لا يعني أن العرب وشعوب المنطقة تخلوا عن القضية الفلسطينية ولكن طريقة التعبير عن هذا التضامن والتأييد لم يعد كما كان سابقا وبنفس الحجم ، ومن جهة أخرى فإن ركوب جماعات الإسلام السياسي موجة الحراك الشعبي أضر بالقضية الفلسطينية كما أضر بالشعوب العربية ،لان هذه الجماعات في غالبيتها صناعة أمريكية لإثارة الفتنة أو ( الفوضى الخلاقة) كما وصفتها وبشَّرت بها كونداليزا رايس ولأنها أيضا لا تضع قضية فلسطين على سلم اهتماماتها .

• ألا يرجع الأمور إلى خفوت الوعي التحرري الذي رسخه اليسار والتيار القومي العربي منذ خمسينيات القرن الماضي، في مقابل صعود التيار الإسلامي الذي يحول كل شيء إلى معركة دينية؟

* صحيح ، التحولات الفكرية والأيديولوجية لعبت دورا هاماُ، فعندما تم تأسيس منظمة التحرير وانطلاق الثورة الفلسطينية في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي كانت المنطقة تشهد مداً قوميا عربيا ويساريا تحرريا وكانت فلسطين عنوانا للعروبة ولقوى التحرر العربية والعالمية، وكان الاتحاد السوفيتي ودول عدم الانحياز تدعم فلسطين، ولكن المعسكر الاشتراكي انهار، كما انهار النظام الإقليمي العربي والمشروع القومي العربي مع حرب الخليج الثانية 90-91 ثم مع فوضى ما يسمى الربيع العربي لاحقا، وهذا أدى لفراغ ملأته جماعات الإسلاموية السياسية بدعم غربي وهذه الجماعات لا تضع القضية الفلسطينية على سلم اهتماماتها وقد رأينا كيف أنها قاتلت في كل مكان في العالم وعملت على تخريب وتدمير دول وطنية ولكنها لم تفكر بقتال إسرائيل ، حتى حركة حماس كجزء من جماعة الإخوان المسلمين لم تقاتل من أجل تحرير فلسطين بل لصالح مشروع الإسلام السياسي الإخواني .

• من جانب آخر، طفت في الآونة الأخيرة خطابات التطبيع في مسلسلات التلفزيون ومقالات الصحافة ومجالات أخرى. في نظرك، ما هي العوامل التي سمحت بظهور هذه الخطابات والمشاركات التطبيعية؟

* حتى الآن يبقى التطبيع حالات محدودة والإعلام ووسائط التواصل الاجتماعي ضخمتها ، وهذا لا يقلل من خطورتها لأنها خروج عن وضع شعبي ورسمي عربي يرفض التطبيع كما أنها تتزامن مع خطوات تطبيعية مكشوفة وخصوصا من دول خليجية حيث زار نتنياهو سلطنة عمان وهناك زيارات واتفاقات متعددة بين إسرائيل والإمارات العربية والبحرين وقطر وربما العربية السعودية ،ولو لاحظنا المسلسلات التطبيعية والمطبعين الذين يتحدثون عن التطبيع ويمدحون إسرائيل وينتقدون الفلسطينيين لوجدناهم ينتمون غالبا لدول خليجية تطبع أو تريد أن تطبع مع إسرائيل ، ولو كان الموقف الرسمي حازم ما سمح لهذه الأصوات بأن تتحدث بهذا الشكل الاستفزازي عن التطبيع، أيضا بعض المطبعين ينتمون لأقليات عرقية وطائفية أو جماعات معارضة وهي تستعمل ورقة التطبيع مع إسرائيل كنوع من المناكفة أو لكسب ود إسرائيل في صراعاتها وخلافاتها الداخلية مع أنظمة عربية.

• كتبت مؤخرا أنك لا تخشى من تطبيع الأنظمة الحاكمة، بل من تطبيع الشعوب. عندما ينظر المرء إلى حالات محددة، مثلما ما يحصل في المغرب مثلا، حيث نظم الكيان الصهيوني زيارات لإعلاميين مغاربة، كما استدعى فنانين سينمائيون وتشكيليين للمشاركة في بعض "تظاهراته الثقافية والفنية"، وكذا إلى محاولة تشييد نصب "تذكاري" لما سمي بـ"الهولوكوست" بنواحي مراكش، ألا ترى أن هذا الكيان شرع فعلا في اختراق الشعوب؟

* ذكرت ذلك انطلاقا من التجربتين المصرية والأردنية حيث لم يؤدي التطبيع الرسمي لتطبيع شعبي إلا في أضيق الحدود ، كما أن التطبيع الرسمي قد يكون لأسباب سياسية قاهرة أو لخلل في الأنظمة السياسية وخضوعها لضغوط أو إغراءات أمريكية ويبقى إجراء فوقيا، أما التطبيع الشعبي فهي تحول عميق في الوجدان والضمير الشعبي وهنا تكمن الخطورة, إسرائيل تبذل جهودا جبارة لاختراق الشعوب والأنظمة العربية وقد أعلن نتنياهو أكثر من مرة متباهيا بأن عملية التطبيع مع الأنظمة العربية تسير بسرعة ولكنه ومعه مسؤولون آخرون اعترفوا بصعوبة التطبيع مع الشعوب .

ما يجري بالنسبة للمغرب ليس بجديد نظرا لأن المغرب كان يحتضن أعدادا كبيرة من اليهود المغاربة وهناك حوالي مليون إسرائيلي من أصل مغربي يتواصلون مع المغرب ويحنون لها، ودائما نجد بعض الأشخاص يقبلون بالإغراءات التي تقدمها إسرائيل أو لهم وجهة نظر خاصة حول العلاقة مع إسرائيل والصراع العربي الإسرائيلي بشكل عام .ولكن الوضع العام في المغرب والموقف الرسمي ما زال مع القضية الفلسطينية وضد إسرائيل، ولو نظرنا لعدد المطبعين أو الذين زاروا إسرائيل لوجدناهم قلة لا تذكر في مقابل مئات الآلاف بل والملايين من المغاربة الذين يخرجون بمظاهرات ومسيرات تؤيد الشعب الفلسطيني، كما أن غالبية المطبعين هم من المثقفين أو الفنانين الذين لا وزن لهم في الساحة المغربية، وهنا تقع المسؤولية على القوى الوطنية للدخول في نقاش عام مع المطبعين لكشف مخاطر التطبيع واهداف إسرائيل الخبيثة، أما بالنسبة لمحاولة تشييد نصب للهولوكوست فاعتقد أنها ستكون محاولة فاشلة .

• في المقابل، بدأ أثر "الحركة الصهيونية" يخفت في الغرب، بفضل نضالات حركة "BDS" التي تدعو إلى مقاطعة هذا الكيان. هل يعني ذلك استفاقة الوعي الغربي، في مقابل ضمور الوعي العربي؟ أم أن هناك تفسيرات أخرى لهذا التحول؟

-ملاحظة صحيحة، قبل سنوات كانت الرواية الإسرائيلية هي التي تهيمن على الرأي العام في أوروبا وغالبية دول لعالم من خلال مزاعم بأن إسرائيل واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط وأن الفلسطينيين إرهابيون ولا يريدون السلام ،إلا أن العالم اكتشف الحقيقة وهي أن إسرائيل تمارس الإرهاب والتمييز العنصري وجرائم حرب ضد الفلسطينيين وأن هؤلاء الأخيرين ومعهم العرب مدوا أيديهم للسلام وقدموا تنازلات كبيرة دون جدوى ،وقد لعبت الـ BDS دورا في فضح المزاعم والأكاذيب الإسرائيلية كما أن العالم يشاهد ويسمع ما يجري نتيجة الثورة المعلوماتية التي جعلت كل شيء متاح، ومن هنا فإسرائيل تحارب حملة المقاطعة وتعادي منظمات حقوق الإنسان التي تفضح الممارسات الإسرائيلية، ويمكن اعتبار ما يجري خطوة مهمة وإن كانت متواضعة لإعادة تصويب الموقف الأوروبي تجاه القضية الفلسطينية. أما بالنسبة لضمور الوعي العربي فالأمر في اعتقادي مؤقت وإن كانت الأمور لن تعود كما كانت في زمن المد القومي والتحرري الثوري، وقد لعبت الجماعات الإسلاموية دورا في تشويه الوعي العربي وفي حرف الشعوب العربية عن القضايا الكبرى.

• بناء على هذا، هل لا زالت هناك فرصة لإعادة بناء تحالفات قوية مع القضية الفلسطينية؟

* لا شك أنه ليس للسلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الآن حلفاء استراتيجيين كما كان الحال قبل سقوط الاتحاد السوفيتي وفوضى ما يسمى الربيع العربي أيضا قبل الانقسام الفلسطيني الذي أساء كثيرا للقضية والشعب، ولكن ما دامت القضية الفلسطينية عادلة وغالبية دول العالم تعترف بحق الشعب الفلسطيني في دولة مستقلة وقد رأينا كيف وقفت دول الاتحاد الأوروبي ضد سياسة الضم الإسرائيلي فإن إعادة تصويب مسار القضية عربيا ودوليا أمر وارد ولكن على أرضية الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة التي تعترف بحق إسرائيل بالوجود وأن الاحتلال الإسرائيلي يقتصر على الضفة الغربية وقطاع غزة ، ولو لم يكن هناك مؤيدين وانصار للشعب الفلسطيني لكانت واشنطن وإسرائيل نفذا صفقة القرن وسياسة الضم.

• أخيرا، هل نتوقع الفصائل الفلسطينية إلى حمل السلاح ضد المحتل؟

* العودة إلى ما قبل توقيع اتفاقية أوسلو وإلى حالة المقاومة المسلحة كما كانت في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي أمر مستبعد الآن لعدة أسباب منها : الانقسام الفلسطيني وغياب استراتيجية ووحدة وطنية حول هذا الهدف ، غياب حليف دولي أو عربي يمكنه احتضان مقاومة مسلحة في فلسطين ويشكل لها حاضنة وقاعدة ارتكاز، غالبية دول العالم لم تعد تقبل العمل الفدائي أو المقاومة المسلحة وتخلط بينها وبين الإرهاب ، ولكن في المقابل فإن المقاومة ليست عملا عسكريا فقط فهناك أشكال متعددة لها ، ونذكر هنا أن الانتفاضة الأولى عام 1978 لم تكن مسلحة بل كانت انتفاضة حجارة وحققت الكثير للفلسطينيين ، وكما ورد سابقا فإن حملات مقاطعة إسرائيل شكل من أشكال المقاومة ، فالمقاومة الشعبية بكل صورها ستكون مجدية الآن أكثر من العمل العسكري ، ولكن قد يتم العودة للعمل العسكري إذا ما قامت إسرائيل بضم الضفة الغربية وتم حل أو إسقاط السلطة الفلسطينية، فآنذاك لن يكون أمام الفلسطينيين إلى العودة لمرحلة التحرر الوطني والعمل العسكري .

إبراهيم أبراش

أستاذ العلوم السياسية في جامعة الأزهر وفي جامعة محمد الخامس سابقا

وزير الثقافة الأسبق

رئيس مجلس أمناء جامعة الأزهر في غزة -سابقاً